إسلام موسى (عطاالله)  
(Islam Mousa (Atalla  
**باحث: في مركز التخطيط الفلسطيني- وحدة أبحاث الأمن القومي**

# باحث: المركز الفرنسي لبحوث وتحليل السياسات الدولية (باريس)

# Centre français de recherche et d’analyse des politiques internationales رابط نشر المقال على موقع المركز الفرنسي

# <https://cfrp24.com/les-effets-negatifs-du-comportement-dextorsion-de-la-turquie-envers-leurope-en-renvoyant-les-djihadistes/> 9/1/2020

# سلوك تركيا الابتزازي اتجاه أوربا بإعادة الجهادين، قد ينعكس سلبا عليها

(Islam Mousa (Atalla

تسود تخوفات أوربية من التهديدات التي أطلقتها تركيا في بداية نوفمر من هذا العام بعزمها إعادة مسلحي داعش الذين تم اعتقالهم في سوريا إلى بلدانهم الأوروبية؛ أثناء الهجوم التي قادته مع حلفاءها من المعارضة السورية على مناطق شمال شرق سوريا الخاضعة لقوات سوريا الديمقراطية ذات الأغلبية الكرية في 9 أكتوبر تحت اسم عملية "نبع السلام"؛ حيث تعتقل قرابة 1200 من عناصر تنظيم "داعش" الأجانب، منهم على 287 خلال عمليتها الأخيرة.

وتعتبر أروبا أن هذه التهديدات تأتي في اطار ابتزاز تركيا لها؛ بسبب انتقادهم لعملية "نبع السلام" العسكرية، وخلافات أخرى سابقة حول تعامل تركيا بشكل فض مع المعارضة الداخلية.

وترى أن هذا السلوك التركي الابتزازي أصبح نهجاً متواصل منذ بداية الأزمة السورية في مارس 2011؛ والتي حاولت فيها تركيا تفعيل أفضل لوضعها الجيوستراتيجي ضمن أنساق فاعلة تكسبها دورًا مؤثراً في السياسة الدولية والإقليمية.

فمنذ البداية انفتحت تركيا على قوى المعارضة السورية ومنحها التسهيلات لعقد اجتماعات على الأراضي التركية. وهو ما أثار حولها شبهات أنها تدعم التنظيمات الجهادية بعد أن ساد شعور بعد صعود الإسلام السياسي في المنطقة عقب ثورات الربيع العربي، عززه سلوك الولايات المتحدة حينها، بأن الإسلام السياسي هو عنوان المرحلة القادمة. ربما هو ما شجع طموحات حزب العدالة والتنمية الإخواني الذي يحكم تركيا إلى رؤية الحكومة في سوريا يقودها أفراد أو مجموعات متحالفة إيديولوجيا واستراتيجياً معه. كل ذلك تزامن مع رغبة تركيا في الحصول على موقع "القوة الإقليمية الأولى"، حيث كانت تسير في إطار السياسة الناعمة المرتكزة على عنصر التكامل الاقتصادي، ومن ثم التشابك الاجتماعي والثقافي والتعليمي، للوصول إلى التوافق السياسي.

وفي فترة الحماسة تلك ظنت أنه يمكن أن تحوُّل سورية إلى "مجالها الحيوي"، تحديدًا إذا استلم الحكم فيها نظام يحكمه الإخوان المسلمون. هذا كان توجه الرئيس أردوغان الذي رَأَّىفي الثورة السورية فرصة مناسبة لخلق نظاماً جديد في سوريا، يكون للإخوان المسلمين فيه دورُ كبير، يكون مقربا من تركيا، ومنافسًا للطموحات الأخرى في المنطقة لاسيما إيران. ونظام جديد يدعم مشروع التوسع الإخواني التركي، يكون الأقدر على التأثير في كافة ملفات المنطقة.

واضح أن تركيا لا تزال تتبع نفس النهج التوظيفي للإسلاميين الراديكاليين بشكل يمكنها من تحقيق مكاسب لها. وقد أصبح هناك قناعات أوربية بأن تركيا تساوم بشكل مستمر في سياقات متشابه لملف النفوذ السياسي الاستراتيجي، وملفات حساسة أخرى كملف اللاجئين والأمن، بعد تهديد أروغان بفتح الحدود أمام اللاجئين.

وفي اطار سياق تلك المساوات أعلنت السلطات التركية، في 11 نوفمبر الجاري، عن ترحيل أمريكي إلى الولايات المتحدة الأمريكية والاستعداد لإعادة 7 ألمان إلى برلين بعد يومين، إلى جانب 11 فرنسياً في وقت لاحق.

هذه المساومات بدأت تأخذ منحناً غير محمود على تركيا وبغير رغبتها، سواء على مستوى العلاقات الرسمية التركية الأوربية، أو على مستوى الرأي العام أيضا.

# أولا) على مستوى العلاقات الرسمية

يسود تصور أوربي أن أردوغان يهدد أمنهم؛ إذا لم يحصل على ثمن سياسي يساعده على إقامة منطقة عازلة ومكافأة اقتصادية بحجة معالجة عبء اللاجئين في بلاده، وذلك من خلال إغراق أوربا باللاجئين، وبذلك يمكن أن وتواجه أروبا أزمة لاجئين جديدة، قد يكون منخرط بينهم جهاديين متخفيين بعد فرارهم من مناطق الحجز لدي سوريا الديمقراطية أو اطلاقهم بشكل غير قانوني في حال لم تستجيب أروبا لمطالب أردوغان.

وفي اطار التهديد بملف اللاجئين قالت نائبة رئيس البرلمان الألماني كلاوديا روت "أردوغان يبتزنا بشكل لا يطاق" وترى أن إلغاء اتفاق الحد من تدفق اللاجئين الذي توصلت له أوبا وتركيا في مارس 2016، هو الحل لكي لا تتعرض أوروبا للابتزاز" وتوضح: "يجب ألا نسمح أن يتم ابتزازنا من قبل رجل يقول: إذا انتقدتموني أو لم ترسلوا لي الأموال، عندها سأرسل الناس عبر البحر! هذا مثير للشفقة...أردوغان يستخدم لاجئي الحرب ويستخدمنا كوديعة سياسية لسياساته المجنونة" وتضيف ....أن إلغاء الاتفاقية لا يعني أن تتخلى أوروبا عن اللاجئين هناك، صحيح أن تركيا استقبلت عدداً من اللاجئين أكبر بكثير من جميع الدول الأوروبية مجتمعة، ولذلك من الصواب أن تدعم أوروبا اللاجئين فيها مادياً من أجل الرعاية الإنسانية والسكن؛ لكن هذا لا يتطلب وجود اتفاقية بشأن اللاجئين مخالفة لقانون اللجوء".

ومن المتوقع أن لا تغامر تركيا بإلغاء تلك الاتفاقية، وأن تطالب بزيادة حصتها المالية، لأن أردوغان لديه اهتمام باستمرار الاتفاقية مثله مثل الأوروبيين، فالأمر يتعلق بالنسبة له بالحصول على مليارات اليوروهات". فموجب الاتفاقية مفترض أن تحصل أنقرة على ستة مليارات يورو (6.6 مليار دولار).

هذه المليارات يرى الكثيرين أن أنقرة لم تصرفها لتحسين معيشة اللاجئين التي تشرف عليهم أنقرة، بل أنها تستخدم تلك المليارات من أجل تمويل حملاتها العسكرية وسياساتها، آخرها كان حملة الهجوم على الشمال السوري، الذي ساهمت بزيادة نسبة التخوفات الأوربية من اطلاق سراح ما يقارب 10 آلاف مقاتل من تنظيم داعش، محتجزين لدي قوات سوريا الديمقراطية، وعودة جزء منهم إلى أوربا، واعادة توظيفهم مرة أخرى في اجندة جديدة لتغير معالم منطقة الشرق الاوسط.

# ****ثانيا) على مستوى الرأي العام****

هناك حنقه ملحوظة متزايدة في الرأي العام الأوربي تجاه الابتزاز التي تتبعه أنقرة، فمن جهته يؤكد ماكسيميليان بوب، المختص بالشؤون الألمانية التركية في صحيفة شبيغل الألمانية: "يجب ألا يترك الأوروبيون الانطباع بأنهم قابلون للابتزاز من قبل أردوغان".

وقد انتشر في الآونة الأخيرة على موقع التدوينات القصيرة "توتير" هاشتاق " تركيا تصدر داعش لأوروبا"، يطرح فيه النشطاء الكثير من التساؤلات حول أجندة تركيا وجديتها في الانخراط في الحرب الدولية على الإرهاب... فبعدما كان نظام أروغان ولسنوات طويلة يئن تحت وقع اتهامات غربية بالتواطؤ مع المجموعات الإرهابية من خلال غض الأجهزة الأمنية التركية الطرف عن عملية تنقل الجهاديين من أوروبا إلى سوريا وللعراق وبدليل تشجيع سوق سوداء للنفط الذي كان تنظيم الدولة الإسلامي يجني من خلالها ثروات مالية هائلة منحته إمكانية بسط النفوذ وممارسة الاستقطاب الجهادي، كل ذلك يأتي في إطار مصالح تركيا الخاصة، وفي إطار تلك السياقات قال أحد النشطاء على مواقع التواصل الاجتماعي: "بعد أن احتضنهم ودربهم أردوغان ليقوموا بما يخدم مصالحه، بدأ بتصديرهم للعالم". ويضيف آخر قائلاً "تخيل أن تركيا تبتز أوروبا بترحيل الدواعش اليها واستعمالهم كورقة ضغط سياسي ضد دول حلف الناتو .. وهذا دليل لمساع تركيا بإعادة إحياء التنظيم هناك!"، ويضيف آخر: " هذي الايام يحاول أردوغان ارسال الدواعش الأوروبيين الى أوروبا حتى يتخلص منهم، ولكن في الواقع هو يساعد في نشر أفكارهم وتمكينهم أكثر". ويقول آخر إن "تركيا لازالت تحمل تاريخا حافلا ومظلما بدعمها للإرهاب والإرهابيين، وها هي تصدرهم للعالم بعد أن نفذوا مخططات أردوغان في المنطقة".

صورة التذمر الشعبي من الابتزاز هذه قد تصور تركيا شعبا وحكومة وهي العضو في الحلف الأطلسي، بأنهم قد يشكلون عدواً خطيراً وليس حليفاً. لذلك هناك دعوات داخل أوربا لإعادة النظر في عضوية أروبا داخل منظمة حلف الأطلسي.

ومن المحتمل أن تتزايد تلك الدعوات باتجاه تسخين لغة العنصرية اتجاه الجالية التركية القاطنة في دول الاتحاد الأوربي، والبالغة قرابة أربعة ملايين.

وهذا قد يغذيه تنامي الشعبوية السياسية المعادية لتركيا في أوروبا، ويزد من فجوة الأفق السياسي الأوروبي تجاه تركيا في حد ذاته؛ وهو ما قد يشكل ضغط مضاعفا على عصب القلق الهوياتي للجالية التركية مع تنامي حس الشعور بالخطر هناك.